فلسفة الفن الإسلامي المعاصر وقضاياه

The Philosophy And Issues of Contemporary Islamic Art

يحيى العيفاوي[1]، د.هاجر شرقي[2]

[1] جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، yahia.laifaoui.etu@univ-mosta.dz

[2] جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، الجزائر، hadjar.chergui@univ-mosta.dz

مختبر بحث الجماليات البصرية في الممارسات الفنية الجزائرية

تاريخ الاستلام: 2025/07/30 تاريخ القبول: 2025/10/22 تاريخ النشر: 2025/12/18

الملخص:

يحظى الفن الإسلامي بمكانة مرموقة بين الفنون العالمية، وذلك لما يتميز به من تنوع وفلسفة مثالية متجذرة فيه بعمق، مستمدة من صلب العقيدة والشريعة الإسلامية. وقد نال هذه المكانة بفضل جماليته ووحدة مبادئه، رغم اتساع الرقعة الجغرافية للعالم الإسلامي وتنوع أصوله ومصادره. فالفن الإسلامي استقى معارفه وتقنياته التعبيرية من مختلف أنحاء العالم، ثم صقلها وأضاف إليها طابعه الأسلوبي الخاص، مما أدى إلى انصهار هذه العناصر الثقافية المتعددة في إطار إسلامي موحد يُعبّر عمّا يُعرف بالجمالية الإسلامية.

كما يُثير الفن الإسلامي العديد من القضايا المتعلقة بالتصنيف والهوية، وهي قضايا تستدعي دراسة واعية وتأملاً عميقًا، يتيح إمكانية الوصول إلى فهم أعمق لجوهر هذا الفن، والذي يتمحور أساسًا حول التوحيد والجمال والهوية.

الكلمات المفتاحية: فن إسلامي؛ هوية؛ مفاهيمية؛ جمالية؛ فلسفة إسلامية.

Abstract:

Islamic art holds an esteemed position among global art forms, distinguished by its diversity and a deeply rooted philosophical foundation derived from the core of Islamic faith and jurisprudence. It has achieved

this status thanks to its aesthetic value and the coherence of its principles, despite the extensive geographical scope of the Islamic world and the diversity of its sources. Islamic art drew its knowledge and expressive techniques from various parts of the world, refining them and adding its own distinctive stylistic character. This process resulted in the fusion of these diverse cultural elements within a unified Islamic framework that expresses what is known as the Islamic aesthetic. Islamic art also raises numerous issues related to classification and identity. These issues require thoughtful study and deep reflection to facilitate a deeper understanding of the essence of this art, which is fundamentally centered on monotheism (tawhid), beauty, and identity.

Keywords: Islamic Art; Identity; Conceptual; Aesthetics; Islamic philosophy.

المؤلف المرسل: العيفاوي يحي، yahia.laifaoui.etu@univ-mosta.dz

مقدمة:

يحظى الفن الإسلامي بالمكانة الأسمى بين بقية الفنون، لجميل خصائصه ومميزاته وتنوع صوره وثبات أسسه الفكرية والجمالية، وجمعه بين مختلف الرؤى والنظريات الفلسفية والجمالية التي شهدها التاريخ الفني على مر العصور من المحاكاة الظاهرية والباطنية إلى الجمع بين جمالية الشكل والجوهر والدمج بين المنفعة والحرفة، بين الغائية والمنفعية، وهي المسائل التي أثارت جدلا واسعا بين فلاسفة أوروبا ومفكريها، وهو ما يبرر تباين الدراسات الاستشراقية والغربية، التي تظل تعتمد التدليس والتقصير في توضيح مفاهيميته وجماليته وتتعمّد التقليل من قيمته، فأغلب دراساتهم الكلاسيكية على وجه التخصيص تصفه بالفن الزّخرفي أو التزييني كما وصفته بضعف التكوين الفني استنادا لما سموه بـ "ظاهرة الفزع من الفراغ"، تفسيرًا لملء الفنان المسلم للفراغات والفضاءات البصرية بالوحدات الزخرفية المتكررة التي تولد ـ حسبهم ـ حالة من الاضطراب البصري.

ويظل الفن الاسلامي محاطا بغموض ينقصه قيمته ما لم يُعْنَ بدراسة لائقة، فحوله عدة تساؤلات وإشكاليات تتعلق بالمفهوم، والأسس الفلسفية للفن الاسلامي ومنهجه وكذا تأثره وتأثيره على مختلف الحضارات، وموقفه من العصرنة وامتداداته ومصادره، وكذا حول مميزاته عن الفنون الأخرى، كما أنه يستوجب توضيحا لسر جماليته، وأبعاده الدلالية وقضايا الهوية والتصنيف.

وألزمتنا ضرورة البحث الجمع بين عدة مناهج وهي: تاريخي، وصفي، تحليلي. وتكمن جمالية البحث في كثرة القضايا والإشكاليات المتعلقة بالأصل والهوية والتصنيف والتي تمهد الطريق لصياغة مفهوم صحيح للفن الإسلامي، كما تهدف إلى توضيح منهج الفن الاسلامي وأبعاده الدلالية والجمالية.

1. إشكاليات المفهوم والهوية والتصنيف:

يقصد بالفن الإسلامي كل أشكال التعبير الفني التي أنتجها فنانون مسلمون، شرط خضوعها إلى ضوابط العقيدة الإسلامية والتقيد بها، وعلى بساطة هذا التعريف، إلا أنه يستوجب توضيحا مهما يتعلق بمصطلح "فن إسلامي": فتصنيفنا لفن ما بأنه إسلامي يستوجب أولا تحقيق مبادئ الفن، خاصة ما يتعلق بالأصالة والجمالية والإبداع، ويستلزم خضوعا للشق الثاني من المصطلح "الإسلامي" المرتبط بحضور الدين وتأثيره على الفن. إذ بمجرد التزام الفنان بضوابط التشريع الإسلامي وتأثره به فكريا بالدرجة الأولى، ثم أسلوبيا بأن يتخذ أحد أشكال التعبير في الفن الاسلامي، وموضوعيا بالخضوع لمبادئ الفن الإسلامي، فيكون بعد ذلك نتاجه فنا إسلاميا.

ولد الفن الإسلامي بميلاد الإسلام في شبه الجزيرة العربية، وأرسى معالمه وفلسفته على الفنون السائدة هناك، وبعد اعتناق العرب للإسلام، "سخّروا في خدمة هذه الديانة عقولهم الناضجة وخيالهم المتقد، ومشاعرهم الحساسة، وعلى هذا الأساس وحده، نشأ الفن الإسلامي وتطور منذ العصور الاسلامية الأولى إلى استخدام ملكاتهم الفكرية، لاستنباط

أصناف الصنائع ومركباتها، كما يقول **ابن خلدون**، أو باصطلاح آخر لاستنباط عناصر البناء وتعبيرات الفنون، ولاستيعاب ما كانوا يرونه جميلا ونافعا، من عناصر وأساليب الحضارات والفنون الأخرى لهم في سياق نهضتهم الحضارية والفنية، وتطوير هذه العناصر والأساليب في إطار الوحدة العربية الاسلامية في التعبير الفني"[1].

لم ينشأ الفن الاسلامي من فراغ ولم يكن منغلقا على نفسه بل نهل من كل الحضارات السابقة، وانتقى منها أفضلها وأعاد صياغتها بأسلوب جمالي يتماشى والعقيدة الإسلامية التي تنبذ التصوير والمحاكاة، وتدعو إلى نظام تعبيري إنساني خالٍ من التشبيهات والتقليد للمخلوقات والموجودات الطبيعية، فالفن الإسلامي يملك خصوصية جمالية وفلسفية لا تشبه بأي شكل معايير الشعوب والأمم غير الإسلامية. ومن السذاجة دراسة الفن الإسلامي بعيون الباحثين الغربيين، فدراسته الجدية تستلزم انصهارا في النظام العقائدي للفنان المسلم، لكون الدراسات الغربية مبنية على أيديولوجيات بالدرجة الاولى، وهي قائمة على مقياس جمال أوروبي، والذي عرف تذبذبات كبيرة في معايير الحكم الجمالي خاصة في مرحلة الحداثة وما بعدها.

وربما "كانت (تصورات خاطئة عن الفن الاسلامي) هي مقالة **الفاروقي**(1921-1986) الأولى التي انطلق منها في نقد تصورات هؤلاء المستشرقين الخاطئة، وفي تفنيد آرائهم الجدلية المغرضة المتعلقة بطبيعة الفن الإسلامي وحقيقته الجمالية والوظيفية. يقول **الفاروقي:** تبين لنا أن أولئك المستشرقين جميعا بلا استثناء بنوا رؤاهم على فرضيات خاطئة، بل مغرضة، فحواها أنّ الإسلام لم يقف عند حد عدم المساهمة بشيء في فنون المسلمين عبر العصور، بل إنّه عرقل اتجاهاتهم الفنية، وقيّدها وأفقرها، بحيث انحصرت الإضافة الوحيدة لهم في التفنن الدائم في كتابة الآيات القرآنية بالخط العربي"[2].

مثل هذه الدراسات وغيرها ممن ينتقصون من قيمة الفن الإسلامي، لم تؤثر أبدا على الفنان المسلم ولم يتخلَّ عن هويته الفنية، ويكفي اعتراف أعظم فناني الحداثة الأوروبية **بيكاسو** بقوله: "إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن التصوير وجدت الخط الإسلامي

قد سبقني اليها منذ أمد بعيد"[3]. وفي ظلّ هذا الاندماج الحضاري المتسارع الذي نعايشه، تصادفنا عدة إشكاليات معاصرة تخص التصنيف والهوية، فقد نجد أنفسنا أمام لوحة لفنان مسلم بأسلوب المدرسة التجريدية، تصف أحد المظاهر الإنسانية النبيلة، فما المعيار المتخذ في التصنيف أهو الأسلوب أم الموضوع، أم ديانة الفنان وجنسيته؟ ثم هل يكفي التجريد والموضوعات الداعية إلى القيم النبيلة لتصنيف العمل فنًا إسلاميًا؟

مبدئيا، يمكن القول إنّها لوحة تحمل قيمة إسلامية، لكن هذا وحده لا يؤهل العمل أن يصنف ضمن الفن الإسلامي، فالفن الإسلامي له هويته الحضارية الخاصة والتي تتمحور أساسا حول العقيدة، فلكي يصنف عمل ما ضمن الفنون الإسلامية يجب أن يتضمن انضباطا جماليا وأسلوبيا تتماشى مع الذوق الاسلامي النقي والمتناسق، وانضباطا مفاهيميا في أن تحمل فكرة العمل توافقا مع النظرة الإسلامية للوجود.

لهذا فكون العمل يتصف بالتجريد وتضمنه لقيم إنسانية فقط، لا يخوّله للانتساب للفن الإسلامي، فالفن الإسلامي يحمل هوية حضارية، وقوام هويته هو الإسلام بعقيدته وشريعته وآدابه وتاريخه وحضارته، ومنه يمكن القول إنّ الفنانين المسلمين الذين يمارسون فن التجريد لا يمكن بأي حال أن نصنف نتاجهم الفني ضمن الفن الاسلامي، نظرا لتأثرهم بالفلسفة الغربية للتجريد التي تختلف عن مفاهيمية التجريد الاسلامي، فالتجريد الغربي يحمل مفاهيم أخرى كالعدمية والتحرر والعبث، اللاشكلية...، أما المعيار المتخذ في تصنيف الفن الإسلامي هو الهوية الاسلامية وجوهرها التوحيد: "ويتمظهر جوهر الهوية الإسلامية من خلال تعريف المرء نفسه بالإسلام، وأن يكون الإسلام هو العنصر التعريفي للحياة الاجتماعية"[4]. كما تعرف الهوية الاسلامية بأنّها "الإيمان بعقيدة هذه الأمة والاعتزاز بالانتماء إليها واحترام قيمها الحضارية والثقافية وإبراز الشعائر الإسلامية والاعتزاز بالتمسك بها والشعور بالتميز والاستقلالية الفردية والجماعية والقيام بحق الرسالة وواجب البلاغ والشهادة على الناس"[5]. فالهوية أهم مقومات العمل الفني الإسلامي، وبغض النظر عن ديانة الفنان، يمكنه أن ينتج عملا فنيا إسلاميا، إذا ما كان مضمون رسالته يعبر عن عقائد

إسلامية (جوهر العمل الفني)، واعتمد أحد الأساليب الفنية الإسلامية كالخط أو الزّخرفة (ظاهر العمل الفني) وكمثال عن ذلك نستشهد بالمسجد الأعظم في الجزائر الذي صمم من قبل شركة ألمانية، وأنجزته شركة صينية لا علاقة لهما بالإسلام، وعلى الرغم من ذلك، يعدُّ فنا إسلاميا.

وهناك إشكالية أخرى تطرحها معظم الدراسات الحديثة حول الفن الإسلامي بالاكتفاء فقط بوصفه الفن الذي يعبر عن مفاهيم التوحيد ويدعو إليه، فعند الوقوف عند هذه الجزئية فقط يمكن اعتبار كل الفنون التي شهدها الوجود البشري والتي تحمل فكرة التوحيد فنونا إسلامية، حتى تلك الفنون التي سبقت ظهور الإسلام، كالفنون التي عرف بها قوم **سيدنا سليمان** وقوم **بلقيس** بعد استجابتهم لدعوة النبي **سليمان** وإيمانهم بالله طالما أنهم تَخَلَّوْا عن عبادة الشمس وآمنوا بالله، إلا أنّ الفنون التي سادت آنذاك يمكن تسميتها فنونا توحيدية ذات قيم إسلامية، كون الفن الإسلامي يطلق على الفنون التي أعقبت الرسالة المحمدية واتخذت أسلوبها المعروف حاليا، وخضعت للشروط والمبادئ السالف ذكرها، وهذا لا يعني أنّ الفن الاسلامي نبذ ما سبقه من فنون بل كانت له بمثابة الإرث الذي نقحه بعد أن أرسى معالمه و نظريته.

يمكننا القول إنّ الفن الإسلامي يخضع إلى منظومة فكرية يحددها الدين، ولا نعني بذلك أن الفن الإسلامي فن ديني غرضه خدمة الدين كالفن الكنسي مثلا، بل هو فن يعالج مختلف القضايا الوجودية بفكر إنساني، وفق منظور الدين الإسلامي، برؤية كونية وبنية روحية ونزعة تجريدية، ومنه نرى أنّ الفن الإسلامي لا تحدده المنطقة الجغرافية ولا اللغة بل الفكر الإسلامي هو من يخوّل له أن ينتسب إلى الاسلام، فعند قولنا الفنون الإسلامية فإننا نقصد فنون جميع الأمم التي تعتنق الإسلام فكرا ودينا وأسلوبا، سواء أكانوا عربا أم عُجْمًا.

ويعدُّ هذا التنوع الثقافي والجغرافي أحد أبرز سمات الفن في العالم الإسلامي، فعلى الرغم من تباعد بلدانه، نراه موحد المعايير الجمالية، وإنْ دلَّ هذا على شيء إنما يدلُّ على وحدة الفكر الفني الإسلامي، وليس من الهيّن أن تتفق مجتمعات وبلدان في قارات مختلفة

حول نمط فني بعينه، وهذا ما يوضح أنّ القاسم المشترك بينها هو المجال الفكري الذي أقرَّهُ وضبطه الإسلام، والذي يتمحور حول مكارم الأخلاق وفضائل الفكر والتوحيد.

وكانت فنونهم قد شملت كل الميادين المعروفة كالتصوير والنحت والعمارة والفسيفساء، والمنمنمات، والخط العربي بمختلف أنواعه، والزّخرفة، والرّقش ومختلف الفنون التطبيقية كالصناعات المختلفة مثل النسيج والألبسة والسجاد، والمسكوكات، وصناعة الأسلحة والسفن والأدوات الزراعية، والأواني، ولعلّ أكثر ما يعرف به الفن الإسلامي هو الزّخرفة "الأرابسك" والخط العربي وفن الحروفية.

2. فلسفة الفن الإسلامي وجماليته:

ينفرد الفن الإسلامي بخصوصية تميّزه عن بقية الفنون العالمية، رغم تنوعها وتعددها، ذاك أنّ الفن الإسلامي انفتح على مختلف أقطار العالم ونهل من تقنياتهم وأساليبهم التعبيرية، بَيْدَ أنّ أهمَّ ما يميزه لم يكن جمال الأسلوب أو التقنيات المستعملة في الإنتاج الفني، ولم يكن كذلك في جمال التكوين أو الألوان المستعملة فقط، بل جمع كل ما سبق إضافة إلى أهم خاصية فيه وهي السلاسة وعدم التقيد بقوانين صارمة تحدُّ من إبداع الفنان، كونه لم يقتصر فقط على العرب أو على ثقافة بلد ما، فالمعروف عن الحضارة الإسلامية أنها شملت أغلب دول العالم وذاع صيتها أكثر من أيّ حضارة أخرى، كما عرف عنه كذلك مرونته، وتكيّفه مع ذهنيات الشعوب على اختلاف معتقداتهم وخلفياتهم الحضارية. وهذا ما يوضح منهج الفن الإسلامي وفلسفته، فهو لم يعتمد المعايير الفنية التي كانت سائدة، كالمعايير الجمالية التي أرّقت الفنون الأوربية مثلا، خاصة في فترة الحداثة أو معايير الجمال الإغريقية الصارمة، بل كان مقياس الجمال في الفن الإسلامي عقائديًا بالدرجة الأولى، وهو الذي يتماشى جنبا إلى جنب مع رسالة الإسلام.

ومعنى ذلك أنّ الفن الإسلامي يعتمد فلسفة مرنة تتماشى مع مختلف الذهنيات، إذ لم يلزم الفنان بتقنية ما أو بأسلوب معين، بل ترك له حرية ذلك، وكان قد ألزمه بما هو أهم

فقد ضبط طريقة التفكير وهذبها وهي التي تعتبر الحلقة الأهم في الإنتاج الفني: "فهو فن تشكلت فلسفته على أساس استحضار المعطى الغيبي في عقيدته، والعالم الأخروي كعالم الكمال المطلق والجمال الحقيقي، الذي يستحق وفق منظور الفن الإسلامي أن يعبر عنه وتدور فلسفته في فلكه. فلسفة تقرُّ بمسلمة أن الوصف الفني لا يمتلك إدراك المتعالي"[6]، لأنّه يسمو على كل تمثيل وتوصيف، ولا نعني بذلك أنه ألزم الفنان بالدعوة إلى الدين بالضرورة، لكن ما نقصده هو أنه هذّب فكر معتنقيه "الإسلام" وصوَّب تفكيرهم "وعلى ذلك يتأكد أنّ المنهج الجمالي الإسلامي هو منهج خاص ومتميز جدا، ووثيق الصلة بالعقيدة الإسلامية، ويحمل المنهج في ذاته نظريته الجمالية وعناصرها وأسسها وأهدافها، وهو في هذا يختلف تماما عن المنهج الجمالي الغربي أو الأوروبي، الذي يؤكد على المظهر الخارجي السطحي من خلال دقة المحاكاة، أو اتخاذ المثل العليا، والمبادئ الأساسية من عناصر الطبيعة"[7].

ومنه، يمكن القول إنّ الفن الإسلامي منهج وفلسفة إنسانية، تدعو إلى فضائل الفكر أي أنّ المادة الجمالية فيه فكرية بالدرجة الأولى، فحتى لو كان الأمر يتعلق بزخرفة أو لوحة حروفية لا تحمل رسالة أو معنى مباشر، فهي بلا شك تخاطب الأنفس الزكية، وتدعوها للتأمّل الواعي لتذوّقها واستشعار الجمال المجرد من كل غاية ونفعية. ولا يختلف إثنان على مدى براعة الفن الإغريقي خاصة في المحاكاة والمثالية، لكن جماليته تقتصر على الجوانب الظاهرية أو الإنشائية فيه فقط، فعند ملاحظتنا للوحة أو تمثال لامرأة عارية، فالفنان هنا بصدد مخاطبة جزء صغير من التفكير، وهو المتعلق بالشهوة، والمتلقي بدوره يكون بغرض التأمّل الذي يقوده إلى استثارة العواطف، أمّا روعة الفن الإسلامي تكمن في فصل اللذة الجمالية عن الشهوات، وفي عالمه الخطي والزّخرفي الجميل لذاته، لا لأنه يشبه شيئا جميلا.

كل ما يعرض لحياة البشر من انحراف واختلال "هو قبح لأنّه يخالف الخروج عن الجمال الواجب الذي يتسق مع إرادة الله في خلقه الكون، وتصوير الجمال في هذا المعنى الواسع والنطاق الشامل، جدير بأن يرفع النفس البشرية من حدود الحس القريبة ومن قيمها

المحدودة الضيقة، إلى عالم أوسع وأفسح، ومجالات شعورية أرفع وأعلى، تحقق للإنسان معنى التكريم الذي أراده الله"[8]. يستمد الفكر الفني الإسلامي مقوّماته وأبعاده المفاهيمية من العقيدة والتشريع الإسلامي، ويعتبر تجليا بصريا للفكر الإسلامي الذي يجمع بين جمالية التشكيل الظاهري المحسوس وجمال المعنى الباطني، ويستلهم منطلقاته من فلسفة روحانية تقر أن طبيعة الجمال وكينونته انعكاس عن جمال الخالق وعظمته.

لا يسعى الفنان المسلم إلى تمثيل الواقع ومحاكاته، بل يهدف إلى تصوير المعنى العميق لجمال الكون ويتعداه إلى ميتافيزيقا ما بعد الحياة الدنيوية، ففلسفة الفن التشكيلي الإسلامي لا يمكن حصرها في تقنيات أو أنماط زخرفية فقط، بل هي فلسفة وجودية تعكس العلاقة بين الإنسان والخالق وبين جمال المعنى والشكل، بين المادة والروح لهذا فهو يعدّ فنًّا دنيويا شكلاً وتشكلاً، وجوهره يحيلنا على الحياة الأبدية التي يؤمن بها المسلمون غيبًا.

ويعدّ الإيمان بالغيب لُبّ العقيدة الإسلامية وهو ما دفع الفنان المسلم إلى التخلي عن محاكاة الموجودات، والسعي إلى خلق عالم فني لا مكان فيه لمضاهاة الخالق في الإبداع والبراعة، إضافة إلى هذا كان الاسلام قد سنّ عدم التشخيص والتمثيل في الفن اجتنابا لتعظيم الأشخاص، أو المغالاة في التخيلات والعواطف كما حدث مع المدرسة الرومنسية مثلا، إضافة إلى السعي نحو محو ثقافة الأصنام التي كانت عقيدة العرب وديانتهم قبل الإسلام، إضافة إلى أنّ العرب كانوا حديثي العهد بالإسلام فكان نبذ الإسلام للتصاوير الآدمية خاصة لتعزيز الإيمان بالغيب.

لا يبحث الفنان في الفن الإسلامي عن الشهرة الذاتية، بقدر ما يبحث عن الدعوة الحضارية والقيم الأخلاقية بالدرجة الأولى، ولعلّ أفضل مثال لنزوع الفنان المسلم نحو التجريد، هو ميدانَيْ الزخرفة والخط العربي، فالزّخارف الإسلامية مدعاة للتأمّل والتدبر. ذلك أنّ النظر في تكرار الزّخرفة وتناغم أنماطها تحدث حالة من السكينة والهدوء، ووجودها في

المساجد تساعد المصلين على الانغماس في لحظة روحانية، عكس التصاوير التي تشوّش العقل وتبعده عن الخشوع واستحضار عظمة الخالق.

تُقاس جمالية الفن الإسلامي من خلال أبعاده الفلسفية والدلالية، إتقانًا وبراعةً، فهو خطاب بصري يحمل مفاهيم فلسفية باعتماد الرمزية والتجريد، مستوحاة من العقيدة الإسلامية القائمة على رؤية توحيدية، ومن ثمّة التطرق إلى المعايير المشتركة بين مختلف الفنون كجمالية التكوين والانسجام والتناسق، والإيقاع...الخ. ولعلّه وفق هذا التصوّر، يوضح **الغزالي** في كتابه "**إحياء علوم الدين**" فلسفة الجمال في الفن التشكيلي الإسلامي: "إنّ الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة المدركة بعين الرأس، وإلى جمال الصورة الباطنة المدركة بعين القلب ونور البصيرة، والأول يدركه الصبيان والبهائم والثاني يختص بإدراكه أرباب القلوب، ولا يشاركهم فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا"[9]. وفي هذا القول، يختزل **الغزالي** فلسفة الفن الإسلامي في جوهره الباطني، ويترفع عن مخاطبة "الشكلانيين" ومن يقدسون الجمال السطحي للأعمال، مؤكدا أنّ حب الجمال الظاهري يختص به الأطفال وأصحاب العقول البسيطة.

3. الفن الإسلامي المعاصر:

لم يقف الفن التشكيلي الإسلامي عند التراث وأساليبه القديمة، بل ظلَّ وفيًّا لخصائصه التي أهمها التجديد والتطور المستمر، ومواكبة التقدم العلمي والحضاري. وفي المقابل عدم المساس بأسسه الكلاسيكية كما حدث في بقية الفنون الأوربية، بل أبقى له عبقه ولايزال يحتفظ بجماليته الكلاسيكية المعهودة، إن لم نقل أنّها زادت قيمة لدى أصحاب الذوق السليم لما يحمله من حنين إلى ماضي الفن المشرق والحضارة، التي نقف على أطلالها مستغربين كيف لها أن تزول، ونستعظم حضارة بائسة كانت في أصلها تتعلم منا مبادئ الفكر السليم.

ومن المهم الإشارة إلى أنّ فلسفة الفنون الأوروبية الحديثة والمعاصرة سبقها إليها الفن الإسلامي منذ عدة قرون، فالمتمعن في بقية الفنون العالمية سيجد أن جذور التجريدية

استلهمت فكرها من الفلسفة الإسلامية وكذا التكعيبية التي استفادت من العلاقات التشكيلية الهندسية للمثلث والمربع في الفنون الإسلامية، **ويعدّ** الخط العربي أحد أهم فروع الفن الإسلامي الذي يعكس الهوية العربية والاسلامية، وهو النمط الإسلامي الأكثر استخداما في التعبير الفني، كونه ليس مجرد أسلوب تواصل لغوي، بل وسيلة للإنتاج الفني والجمالي كذلك. وقد وجد العرب في الخط وسيلة للتعبير عن إبداعهم، حيث انصرفوا عن الرسم والتصوير، وكان لكتابة المصحف الشريف أثر في تشجيعهم على تطوير الحرف وتطويعه والعناية به، والاهتمام بضبطه وتنقيطه وتشكيله، وكان دافعهم إلى ذلك حب الكتاب الكريم ولذلك ظهرت خطوط أخرى متنوعة، أولها الخط الكوفي"[10]، الذي نشأ بالعراق وتطور فيه إلى عدة أنواع، وظلّ الخط يتطور وينحو نحو الخطوط اللينة التي تتيح إمكانيات أكبر في التشكيل الإبداعي، كخط النسخ والديواني، والفارسي، والرقعة، والثلث...، وخطوط أخرى مستحدثة كالنستعليق[11] والسّنبلي[12] والوسام[13] وغيرهم كثير.

وقد شكّل الخط العربي المادة الخام لفن انبثق منه يسمى الحروفية الذي يستغل الحروف شكلاً لا صوتًا، تشكيلاً جماليًا لا مقروءً. وعلى الرغم من قلّة المتذوقين والمعتزين بالفن الإسلامي لانفتاحهم على الفن العالمي ومسايرة التغيرات الثقافية للشعوب الأوروبية، واعتمادها مصادرًا للتقييم والأحكام الفنية، فقد تطور الفن الاسلامي واتخذ أشكالا جديدة لاسيما ما تعلق منها بالخط العربي، الذي انبثقت منه عدة أساليب تشكيلية بروح عربية إسلامية، كخط الوسام[11]الذي استلهمه الفنان **وسام شوكت**[14]. فقد استغل هذا التمظهر الجديد للحرف العربي في صياغة تشكيلات خطية وحروفية تجريدية، تمثلت جمالية الفن الإسلامي المعاصر وروعته. ويعدُّ هذا الفنان من أبرز الفنانين المعاصرين الذين أبدعوا في تجسيد معنى التجريد الإسلامي، وفق تكوينات فنية في غاية الروعة، إضافة لاعتماده أحيانا على الوسائط الالكترونية الحديثة، التي تتيح سهولة في التجريب والتشكيل واستعمال المؤثرات المختلفة، ممّا يمنح الخط العربي والفن الإسلامي بعدا معاصرا.

إضافة إلى الخطاط العراقي **محمد سعيد الصقار** "الذي قام ببعض المحاولات الفنية المتطورة المنطلقة من الأسس العامة للخط العربي... وتأثر بهذه التجربة بعض الخطاطين المعاصرين الذين ساروا على النهج نفسه"[15]. فضلاً عن الفنان العراقي **غازي الدليمي** الذي عاش مغتربا في ألمانيا، وتأثر بالفنون الأوربية وهو ما دفعه إلى التجريب والتجديد في الفن الاسلامي خاصة مجالي الزّخرفة والخط العربي، إلى أن تمكن من تكوين أسلوبه الخاص، والذي تميز بدمج عدة خطوط عربية كالكوفي والثلث والديواني والنسخ المغربي والتعليق، إضافة إلى بعض الزّخارف والمساحات الملونة والفراغات، ممّا يجعل أعماله توحي بالبعد الروحي للحرف العربي.

وفي ميدان الخط العربي، لا يفوتنا الحديث عن أبرز الخطاطين المعاصرين وهو الخطاط العراقي **عباس شاكر جودي** المعروف باسم **عباس البغدادي** الذي جمع أسلوبه بين الأصالة والتجديد في فن الخط العربي، من خلال تعامله مع الحرف بوصفه عنصرا بصريا يحمل إيقاعا خاصا. وتتميّز أعماله بالصرامة الهندسية والليونة التعبيرية، ما يجعل حروفه تبدو بشكلٍ مفعم بالحيوية والانسجام دون أن يفقد أصالته الجمالية. كما تُبْرِزُ أعماله حسًّا روحيا عميقا وإدراكا بصريا دقيقا للعلاقة بين الشكل والمضمون والتوافق والانسجام بين كتل الحروف والفراغات؛ له عدة كراسات تعليمية للخط العربي، مثل: "**ميزان الخط العربي** "**خط الثلث**" (1986)، "**ميزان الخط العربي ـ النسخ المصحفي**"(2015)، "**تحفة الميزان**" (1420هـ)، الذي يعدّ من أجود الكراسات التعليمية لأنواع مختلفة من الخطوط العربية وهي: الثلث، والجلي الديواني، والإجازة، والتعليق، والنسخ، والرقعة.

خاتمة: يمكن أن نلخص النتائج على النحو الآتي:

– تتجلى قيمة الفن التشكيلي الإسلامي في فلسفته وتكيّفه مع تطورات الزمن، وعدم تخليه على أسسه وثوابته، وهو ما يدلّ على سلامة المعتقد: فهو ليس مجرد أسلوب أو تيار فني بل تجسيد بصري لفكر فلسفي عميق يصبو الفنان من خلاله إلى بلوغ المطلق، وغايته تعليم الإنسان كيفية رؤية ما وراء الأشياء، وهو بذلك أشبه ما يكون بجسر يصل بين المادي

والروحي، بين المرئي والمحسوس، وتتجلى فيه روح الفلسفة بنظام بصري متكامل، ينزع إلى التنزيه ويتجنّب التشخيص والمعاني المباشرة لصالح المجرد اللامرئي.

– ظلّ الفن الاسلامي محافظا على مبادئه وفلسفته وصفاته، المتعلقة بالتجديد والمرونة في التكيف مع التطورات ومقتضيات العصرنة، مع الحفاظ على الأسس التكوينية والعقائدية والجمالية، وهو ما يتجسد في الخطوط المستحدثة كخط الوسام الذي يعدُّ فنا عربيا معاصرا.

– من مميزاته كذلك وحدة مبادئه، وحفاظه على روحه منذ نشأته المبنية على أسس أخلاقية وجمالية كانت ولاتزال عماده، إضافة إلى أنّ التغييرات التي تمسّه تتعلق بظاهر العمل كالأسلوب والتقنيات ووسائل الإخراج والخامات ووسائط العرض، وكذا آليات التنفيذ. أمّا جوهره فقد ظلّ ثابتا لم يعرف الفوضوية والعبثية، نظرا لسعيه الدائم إلى غايات أسمى من الإمتاع اللحظي، وبالمقابل لم ينبذ تاريخه وإرثه الفني بل حافظ له على عبقه ومكانته وجماليته، وهو مالا نراه في الفنون الأوربية على مر الزمن.

الهوامش:

1– إدهام محمد الحنش، نظرية الفن الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، ط.1، صص.91،92.

[2] – المرجع نفسه، ص.124.

[3] – المرجع نفسه، صص. 64–65.

[4] – كايان رمضان، بناء الهوية في ظلال الوحي، ط.1، اسطنبول، تيرا كتاب للنشر، 2015، ص.16.

[5] – خليل نوري مسيهر العاني، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، العراق، ديوان الوقف السني، ط.1، 2009، ص.45.

[6] – سماح زيدي، فلسفة الفن الاسلامي في ظل الرؤية التوحيدية من خلال فكر اسماعيل الفاروقي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات (الجزائر، جامعة غرداية)، العدد:1، المجد:17، 2024/06/06، ص. 100. https://asjp.cerist.dz/en/article/245975

[7] – أنصار محمد عوض الله الرفاعي، الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، أطروحة دكتوراه، فلسفة في التربية الفنية، أصول التربية الفنية، إشراف د: محمد نبيل الحسيني، مصر، جامعة حلوان، 2002، صص.309–310.
https://down.ketabpedia.com/files/bkb/bkb-th0256

[8] – محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، بيروت، دار الشروق، ط.6، 1983، ص.135.

[9] – سمير الصايغ، الفن الإسلامي قراءة تأمّلية في فلسفته وخصائصه الجمالية، بيروت، دار المعرفة، ط.1، 1988، ص.114.

[10]– عادل الألوسي، الخط العربي نشأته وتطوره، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط.1، 2008، ص.42.

[11]- **خط النستعليق:** هو خط مركب من خطي النسخ والتعليق، كان يسمى نسخ التعليق ثم أختصر ليصبح النستعليق، وهو وجه من وجوه تطور الخط الفارسي، وقد برع به الخطاط عماد الدين الشيرازي الحسني ووضع له قاعدة جميلة تعرف بـ(قاعدة عماد).

[12]– **الخط السنبلي:** هو خط مشتق من الخط الديواني، أصله عثماني، ابتكره الخطاط عارف حكمت حوالي سنة 1915، يمتاز بحروفه العريضة الممتلئة، كما تميزت بدايات أحرفه القائمة بزوائد زخرفية، سمي بالسنبلي لتشابه حروفه مع السنابل في الشكل والليونة.

[13] – **خط الوسام:** هو أحد أنواع الخطوط العربية المبتكرة المعاصرة، ابتكره الفنان **وسام شوكت** بعد خبرة طويلة من ممارسة الخط، حيث دمج معارفه من قواعد الخطوط العربية الأخرى كالسّنبلي والديواني، والكوفي، والطغراء، والثلث، لتأسيس أسلوبه الخاص.

[14] – **وسام شوكت:** فنان وخطاط ومصمم من مواليد 1974 بالعراق، تحصل على عدة جوائز عن أعماله في الخط العربي، أقام العديد من المعارض الفردية كمعرض في "جاليري ريد سبيس" في نيويورك، وعدة معارض أخرى في دبي ودمشق. أنشأ نوعا جديدا من الخط العربي ووضع قواعده أسماه خط الوسام، تتمثل أعماله في لوحات بالخطوط الكلاسيكية المزخرفة والحروفية، وتصميمات لهويات بصرية وشعارات لعلامات تجارية وشركات عديدة، كشعار فرع علامة "جاغوار" بالخليج، والخطوط الجوية السعودية...، وقد جسّمت بعض أعماله شعارًا لمدينة البصرة.

[15] – حمود جلوي فرج العنزي، الخطاطون المعاصرون ودورهم في تطوير أساليب الخط العربي وجماليته، مجلة كلية الآداب (مصر، جامعة المنصورة)، العدد:69، 2021، ص.157 (بتصرف).
https://doi.org/https://artman.journals.ekb.eg/article_157606_12f0ea0bf0bb7bb33740b10e810ed335.pdf

قائمة المراجع:

الكتب:

– الألوسي عادل، الخط العربي نشأته وتطوره، القاهرة، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط.1، 2008

ـ الحنش إدهام محمد، نظرية الفن الإسلامي، المعهد العالي للفكر الإسلامي، فرجينيا ـ الولايات المتحدة الامريكية، ط.1، 2013.

ـ العاني نوري مسيهر خليل، الهوية الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مركز البحوث والدراسات الإسلامية المعاصرة، العراق، ط.1، 2009.

ـ الصايغ سمير، الفن الاسلامي قراءة تأمّلية في فلسفته وخصائصه الجمالية، بيروت، دار المعرفة، ط.1، 1988.

ـ قطب محمد، منهج الفن الإسلامي، بيروت، دار الشروق، ط.6، 1983.

ـ كايان رمضان، بناء الهوية في ظلال الوحي، إسطنبول، تيرا كتاب للنشر، ط.1، 2015.

الدوريات:

ـ زيدي سماح، فلسفة الفن الإسلامي في ظل الرؤية التوحيدية من خلال فكر إسماعيل الفاروقي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات(الجزائر، جامعة غرداية)، العدد:1، المجد:17، 2024/06/06، صص.93–113.

https://asjp.cerist.dz/en/article/245975

ـ العنزي جلوي فرج حمود، الخطاطون المعاصرون ودورهم في تطوير أساليب الخط العربي وجماليته، مجلة كلية الآداب (مصر، جامعة المنصورة)، المجلد:69، العدد: 69، 2021، صص.147–162.

https://doi.org/https://artman.journals.ekb.eg/article_157606_12f0ea0bf0bb7bb33740b10e810ed335.pdf

الرسائل الجامعية:

– الرفاعي محمد عوض الله أنصار، الأصول الجمالية والفلسفية للفن الإسلامي، أطروحة دكتوراه، فلسفة في التربية الفنية، أصول التربية الفنية، إشراف د: محمد نبيل الحسيني، مصر، جامعة حلوان، 2002.

https://down.ketabpedia.com/files/bkb/bkb-th0256

Bibliography:

Books:

- Al-Ani Nouri Musayhar Khalil, Islamic Identity in the Age of Cultural Globalisation, Centre for Contemporary Islamic Research and Studies, Iraq, 1st edition, 2009. (In Arabic)
- Alousi, Adel, Arabic Calligraphy: Its Origins and Development, Dar Al-Arabia Publishing House, Cairo, 1st edition, 2008. (In Arabic)
- Hanash, Idham Muhammad, The Theory of Islamic Art, Higher Institute of Islamic Thought, Virginia, United States of America, 1st Edition, 2013. (In Arabic)
- Kayan Ramadan, Building Identity in the Shadow of Revelation, Terra Publishing, Istanbul, 1st edition, 2015. (In Arabic)
- Qutb Muhammad, The Methodology of Islamic Art, Dar Al-Shorouk, Beirut, 6th Edition, 1983. (In Arabic)
- Samir Al-Sayegh, Islamic Art: A Contemplative Reading of its Philosophy and Aesthetic Characteristics, Dar Al-Ma'arifa, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1988. (In Arabic)

Periodicals:

- Jalawi Faraj Hamoud, , Modern Calligraphers and Their Role in Developing The Styles and Aesthetics Of Arabic Calligraphy, Faculty of Arts Journal, Mansoura University, Vol.69, N° 69, 2021, PP.147-162. (In Arabic)
https://doi.org/https://artman.journals.ekb.eg/article_157606_12f0ea0bf0bb7bb33740b10e810ed335.pdf
- Zidi Samah, The Philosophy of Islamic Art in the Shadow of the Monotheistic Vision through the Thought of Ismail al-Farouqi, Al-Wahat Journal for Research and Studies, Vol. 17, N° 1, 2024, PP.93-113. (In Arabic)
https://asjp.cerist.dz/en/article/245975

Thesis:

- Al-Rifai Muhammad Awadallah Ansar, The Aesthetic and Philosophical Foundations of Islamic Art, doctoral thesis, Helwan University, 2002. (In Arabic)
https://down.ketabpedia.com/files/bkb/bkb-th0256-ketabpedia.com.pdf